مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 83 – يوليو 2026

Volume 23 – issue 83 – July 2026

Pages 37 - 77 الصفحات 37 - 77

السبق في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Precedence in the Holy Qur'an: A Thematic Study

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8302

د. شيخه فراس الخالدي

Dr. Sheikha Firas Al-Khalidi

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية الجامعية بالخفجي

جامعة حفر الباطن

Assistant Professor of Qur'anic Exegesis and Sciences

Al-Khafji University College

University of Hafr Al-Batin

Email: shekhafer@uhb.edu.sa

Date of Receipt - 2026/03/26 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/04/06 – تاريخ القبول

د. شيخه فراس الخالدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية الجامعية بالخفجي
جامعة حفر الباطن

Dr. Sheikha Firas Al-Khalidi
Assistant Professor of Qur'anic Exegesis and Sciences
Al-Khafji University College
University of Hafr Al-Batin
Email: shekhafer@uhb.edu.sa

السبق في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Precedence in the Holy Qur'an: A Thematic Study

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8302

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٣/٢٦ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٤/٦

ملخص البحث: تناولت في هذا البحث موضوع: السبق في القرآن الكريم ودراستها دراسة موضوعية، ويهدف البحث إلى: التعرف على مفهوم السبق في اللغة والاصطلاح، وبيان وجوه السبق في القرآن الكريم وتفسيرها تفسيراً موضوعيا. مع تفصيل أقوال المفسرين عند تفسير الآيات المتعلقة بالسبق، والترجيح بينها، واستنباط أهم الآثار الاعتقادية والاجتماعية من موضوع الدراسة على النفس الإنسانية. وقد سلك البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي.

ومن نتائج البحث: أن أصل السبق هو التقدم حقيقة، ويتجوز استعماله في المعاني، وإذا عدي (سبق) بحرف (على) فإنه يتضمن معنى: حَكَم، ولكون السابقِ ضارًّا. وإذا عدي بحرف (اللام) فإنه يتضمن معنى الالتزام النافع، وإذا تعدى بحرف (من) للدلالة على عظمة ذلك الكتاب النازل من الله تعالى، وأن تسابق الملائكة لا يكون إلا في الخير أما تسابق البشر فيكون في الخير والشر.

الكلمات المفتاحية: السبق، التقدم، المبادرة، القرآن الكريم.

Abstract:

This study addresses the topic of precedence (sabaq) in the Noble Qur'an through a thematic study. The research aims to identify the concept of precedence in both its linguistic and technical usages, and to clarify the various manifestations of precedence in the Qur'an with a thematic exegetical interpretation. It also examines the statements of Qur'anic exegetes in interpreting the verses related to precedence, weighs their opinions, and derives the most significant doctrinal and social implications of the topic for the human self. The study adopts the inductive thematic method.

Among the main findings of the study is that the (basic meaning) of precedence denotes actual advancement or coming before others, though it may also be used figuratively in abstract meanings. When the verb sabaqa (to precede) is followed by the preposition «ala» (upon/over), it conveys the meaning of overcoming or prevailing. When it is followed by «li-« (for/to), it implies a beneficial commitment or deserving attainment. When it occurs with «min« (from), it indicates the greatness and exalted status of the revealed Book from God Almighty. The study also finds that the competition or precedence of the angels occurs only in goodness, whereas human competition may occur in both good and evil.

Keywords: precedence, advancement, initiative. Holy Qur'an

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وبعد؛

فـإن كتاب الله تعالى كتاب مبارك جمع الله فيـه الخير الوفير، والعلم الغزير، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سـورة صـ]، وقـد حـث الله تعالى عباده لتدبر آياته، والتأمل في معانيه، واستخراج ما فيه من العلوم والفنون، والأسرار والحكم.

فحرص أهل التفسير بتدبر كتاب الله تعالى واستخراج علمه وتأمل أسراره وحكمه، فدرسوا ألفاظه، وتدبروا معانيه. واستنبطوا ما فيه من معاني وأسرار وحكم.

وعليـه رأيـت أن أدرس موضوع السبق في القـرآن الكريم، وجمع آياته، وبيـان وجوه السبق حسـب سياق الآيات وتفسيرها تفسيرًا موضوعيًا. فكان عنوان البحث: (السبق في القرآن الكريم دراسة موضوعية).

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- خدمة كتاب الله تعالى وإثراء المكتبة الإسلامية بمثل تلك الدراسات.

٢- التفريق بين المعنى الحقيقي للسبق والمعنى المجازي.

٣- بيان وجوه السبق في القرآن الكريم.

٤- بيان الآثار العقدية والاجتماعية التي تغرسها آيات السبق في النفس الإنسانية.

٥- التعرف على الحكمة من تعبير القرآن بـ(نستبق) بدلاً من نسرع.

أهداف البحث:

١- بيـان تعدد وجوه السبق في القرآن الكريم، وبيان دور المفسر في تجلية غوامضها حسب سياق الآيات.

٢- النظر والجمع والترجيح بين أقوال المفسرين.

٣- استخراج الآثار العقدية والاجتماعية من آيات السبق.

إشكالية البحث:

تكمـن إشكالية البحث فـي التفريق بين المعنـى الحقيقي للسبق والمعنـى المجازي، وبيان الآيـات التي وردت فيها السبق باستثنـاء السبق في الخيرات؟ وما أهم الآثار العقدية والاجتماعية المستفادة من تلك الآيات؟ وما أقوال المفسرين في معنى السبق حسب ورودها في الآية؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث تبين أنه ليس هناك دراسة مستقلة في موضوع السبق في القرآن الكريم ودراستها دراسة موضوعية. إلا أن هناك دراستين تناولتا السبق من نواحي أخرى وهي:

١- أثر السياق في النموذج القرآني (مادة سبق أنموذجًا). د.علي الزبن، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، قسم البلاغة والنقد، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، جامعة الأزهر، المجلد ٣٠العدد الثاني.

والفرق بين دراستـي وهذا البحث أن الدراسة السابقة تناول الباحث مفردة السبق ودرسها دراسـة بلاغية لغوية، والتركيز علـى الجانب اللغوي لمفردة السبق. أما دراستي للسبق في القرآن فهـي دراسـة موضوعية، تناولـت فيها أقوال المفسريـن من حيث النظر والجمـع والترجيح بينها وذكـر القاعدة الترجيحية، وتناولت الآثار العقديـة والتربوية المتعلق بالسبق في القرآن. وهذا ما لم تتناوله الدراسة السابقة.

٢- المسارعة والمسابقة إلى الخيرات في القرآن الكريم دراسة موضوعية بيانية. إعداد د. محمد علي الزغول

أستـاذ التفسيـر المشارك في كلية الشريعة فـي جامعة مؤتة ود. محمـد سعيد حوى أستاذ الحديـث المشـارك في كليـة الشريعة في جامعـة مؤتة. الناشـر: المجلة الأردنية فـي الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت. الأردن، ٢٠٠٨.

تناولت الدراسة السابقة فقط موضوع السبق إلى الخيرات والجنة، وهو وجه واحد من وجوه السبـق فـي القـرآن، أما هذا البحث فقـد درست فيه جل آيـات السبق في القـرآن باستثناء آيات الدراسة السابقة.

حدود البحث:

يدرس البحث السبق في القرآن الكريم، ودراسة آياتها دراسة موضوعية ما عدا آيات السبق في الخيرات.

منهج البحث وإجراءاته:

المنهج الذي أتبعه في البحث منهج استقرائي موضوعي.

إجراءات البحث:

١- أعزو الآيات القرآنية إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية في صلب البحث.

٢- أخـرج الحديـث النبوي الشريف من المصـادر التي خرجته؛ فـإن كان في الصحيحين فأكتفـي بهمـا ولا أخرج من غيرهمـا، وإن كان في غيـر الصحيحين فأكتفـي بتخريجه من باقي الكتب التسعة، ولا أخرج من غيرها إلا لحاجة، مع نقل أقوال بعض علماء الحديث في الحكم عليه إن وجدت.

٣- أخـرج الآثار مـن المصادر التي خرجته، مع نقل أقوال بعضـ علماء الحديث في الحكم عليه إن وجدت.

٤- لم أترجم للأعلام لما تقتضيه طبيعة البحث من الاختصار.

٥- أبين المفردات اللغوية التي تحتاج إلى بيان؛ بالرجوع إلى كتب المعاجم واللغة.

٦- أوثق ما نقلته توثيقاً كاملاً بعزوه إلى مصادره الأصيلة وذلك في الحاشية.

٧- أقوم بترتيب الكتب في الحاشية - في حالة الاستفادة من أكثر من مرجع- استناداً على تاريخ وفاة المؤلف من حيث الأقدمية.

٨- أذكـر اسـم المؤلف والمرجع كامـلاً بالهامش عند وروده لأول مرة، ثـم ذكره مختصراً عنـد تكرره، بذكر اسم المؤلف والكتاب مختصراً والجـزء ورقم الصفحة، ثم أذكر جميع بيانات المصدر أو المرجع كاملاً من حيث دار النشر، والطبعة، وسنة الطبع، في ثبت المصادر للاختصار ومنعًا للتكرار.

٩- وضع فهرس للمصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية.

خطة البحث:

يتكـون البحث من مقدمـة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وقائمـة المصادر والمراجع، على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته وخطة البحث.

تمهيد: تعريف (السبق) ومواضع وروده في القرآن الكريم.

الأول: تعريف السبق في اللغة والاصطلاح.

الثاني: مواضع ورود لفظة السبق في القرآن الكريم ومشتقاته.

الثالث: أثر السياق في فهم اللفظ النص القرآني.

المبحث الأول: تعدد وجوه السبق في القرآن الكريم، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوجوب والمضي

المطلب الثاني: الرمي والاصطياد.

المطلب الثالث: الفوات والغلبة

المطلب الرابع: التقدم والمبادرة.

المطلب الخامس: السبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة

المبحث الثاني: آثار (السبق) في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: الآثار العقدية.

المطلب الثاني: الآثار التربوية والاجتماعية.

خاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث والتوصيات

تمهيد

مفهوم السبق ومواضع وروده في القرآن الكريم

أولاً: تعريف السبق لغة واصطلاحا:

السبق في اللغة:

السين والباء والقاف أصل واحد يدل على التقديم. ومعناه المحوريّ يدور حول تقدُّم الشيء على غيره من بين مَنْ حوله. والسّبْقُ: مصدر سَبَقَ. وَقَدْ سَبَقَه يَسْبُقُه ويَسْبِقُه سَبْقاً: تقدّمه. والسّبْق: القُدْمةُ في الجَرْي وَفي كل شَيْءٍ. يقال: له في الجري وفى الأمر سبق وسبقةً وسابقة أي سَبَقَ الناس إليه. والسبق فهو الخطر الذي يوضع بين أهل السباق.[1]

وأصل السبق التقدم في السير، والاستباق والتسابق كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [سورة يوسف: ١٧]، ثم يتجوز به في غيره من التقدم.

ويستعمل السبق في المعاني المعنوية فيستعار السبق لإحراز الفضل وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة المؤمنون] أي: المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة. وأسبق القوم إلى الأمر. أي: بادروا.

وسابق إلى الشيء مسابقة وسباقًا: أسرع إليه. قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحديد] واستبقوا: أي سابق بعضهم بعضًا. واستبق الطريق أي جاوزه. والسابق المتقدم في الخير. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الواقعة][2]

وعليه يتبين أن الأصل في السبق هو التقدم والإسراع في السير سواء كان في الأمور الحسية كالاستباق والتسابق ثم يتجوز استعماله في غيره من التقدم المعنوي كالتسابق في الخيرات أو الفضل.

السبق في الاصطلاح:

السبق هو التقدم في السير ويجوز استعمالها مجازاً على التقدم في كل قول أو عمل[3].

وأصله التقدم في السير، ثم يعبر بذلك عن التقدم إلى الأشياء أعيانًا كانت أو معاني [4]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، (١٢٩/٣)؛ لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، (ت:٧١١)، (٨٩١/٥)،

(٢) انظر: العين، للخليل الفراهيدي، ترتيب: عبد الحميد الهنداوي، (٢١٤/٢)؛ المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة (ت:٤٥٨)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، (٦/ ٥٤٦)؛ المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت:٥٠٢)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ص: ٢٢٢؛ المعجم الوسيط،مادة سبق، ص:٤١٥.

(٣) انظر بتصرف: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، (ت:١٣٩٣)، (٣٨/١٧).

(٤) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل، (١٧٠/٢).

وعليه فالسبق في المعنى اللغوي هو المراد به اصطلاحًا وهو التقدم على الشيء والمسارعة فيه سواء في الحسيات أو المعنويات. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: مواضع وروده في القرآن الكريم

وردت مادة (سبق) في القرآن الكريم باشتقاقات كثيرة وبصيغ متعددة في سبعة وثلاثين موضعًا، وقد جاءت هذه الآيات في أربع وعشرين سورة في كتاب الله، والجدول التالي يوضح عدد مرات ورود مفردة (سبق) بمشتقاته:

م	الآية	السورة	عدد مرات ذكرها	اللفظ
١	﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾	الأنفال	٤	سبق
٢	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾	هود		
٣	﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾	طه		
٤	﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾	المؤمنون		

٥	﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾	يونس		سبقت
٦	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠﴾	هود		
٧	﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾	طه		
٨	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾	الأنبياء		
٩	﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾	الصافات		
١٠	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾	فصلت	٧	
١١	﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾	الشورى		
١٢	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾	الأعراف		سبقكم
١٣	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾	العنكبوت	٢	
١٤	﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩﴾	الانفال	١	سبقوا
١٥	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾	الاحقاف	٢	سبقونا
١٦	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾	الحشر		

١٧	﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾	الحجر	٢	تسبق
١٨	﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٤٣﴾	المؤمنون		
١٩	﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾	العنكبوت	١	يسبقونا
٢٠	﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧﴾	الأنبياء	١	يسبقونه
٢١	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾	الحديد	١	سابقوا
٢٢	﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٥﴾	يوسف	١	استبقا
٢٣	﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ۝٦٦﴾	يس	١	استبقوا
٢٤	﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾	يوسف	١	نستبق
٢٥	﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٤٨﴾	البقرة	٢	استبقوا
٢٦	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٤٨﴾	المائدة	٢	استبقوا

٢٧	﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾	النازعات	١	سبقا
٢٨	﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٢﴾	فاطر	٢	سابق
٢٩	﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾	يس		
٣٠	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾	التوبة	٤	السابقون
٣١	﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾	المؤمنون		
٣٢	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾	الواقعة		
٣٣	﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾	النازعات	١	سابقات
٣٤	﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ۝٣٩﴾	العنكبوت	١	سابقين
٣٥	﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠﴾	الواقعه	٢	مسبوقين
٣٦	﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾	المعارج		

وسأقـوم بدراســة تلك الآيات باستثناء آيات السبق في الخيرات لوجود دراسة سابقة فيها وهي: سـورة البقرة آية:١٤٨-والمائـدة آية: ٤٨-والتوبة آية:١٠٠-والمؤمنـون آية: ٢١- وفاطر آية:٢٩- والواقعة آية: ١٠-والحديد آية: ٢١.

ثالثًا: أثر السياق في فهم النص القرآني:

اهتم المفسرون في النظر في سياق الآية لفهم النص القرآني، وتحديد معنى الآية والترجيح بيـن الأقوال، فالنظـر في سياق الآية من حيـث سباقها ولحاقها يعين على تعييـن القول الراجح، لذلـك اهتم كثير من المفسرين بالسياق في ترجيح أحـد الأقوال أو ردها لمخالفتها السياق، وقد يكـون اللفظ عامًا محتملاً لأكثر من معنى فيحـدد بالسياق أحد هذه المعاني؛ لأنه أولى به وأقرب إليه، مع أن غيره من الأقوال محتمل.[١].

قـال ابن تيمية: «فمن تدبر القـرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدهـا، وعرف مقصود القرآن: تبيـن له المراد، وعرف الهـدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف، والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية»[٢].

وقـال الطبـري:« فغير جائـز صرف الكلام عمـا هو في سياقـه إلى غيـره، إلا بحجة يجب التسليـم لها من دلالة ظاهر التنـزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة. فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد»[٣].

لذلك فعلى المفسر لكلام الله تعالى النظر في سياق الآيات، في سابقها ولاحقها فمن أهمل ذلك غلط في النظر، ووقع الانحراف في فهم الآيات القرآنية.

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير، د.مساعد الطيار، (دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤٢٣)، ص: ١٣٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦)، (١٥/ ٩٤).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، (٦٧٥/٧).

المبحث الأول

تعدد وجوه السبق في القرآن الكريم

ذكـر الدامغاني في كتابه (الوجوه والنظائـر لألفاظ كتاب الله العزيز) أن تفسير السبق في القرآن الكريم جاء على ستة وجوه بينما جاء في موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أنها على عشرة وجوه.[1]

وغالبًـا تلك الوجوه التي ذكرها الدامغاني والتي جاءت في الموسوعة بينهما تداخل وتقارب في المعنى. وعلى ذلك قمت بدمج الوجوه المتقاربة في المعنى وجعلتها على خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: الوجوب والمضي

سأتنـاول في هذا المطلب الآيـات التي وردت فيها لفظة السبق فـي سياق الوجوب والمضي وهي كالتالي:

الأول: قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأنفال]

سبب النزول:

جاء في سبب نزول الآية ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسارى)؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هم بنو العم والعشيـرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قـوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقـال رسـول الله ﷺ: (ما ترى يـا ابن الخطاب)؟ قلت: لا والله يا رسـول الله، ما أرى الذي رأى أبـو بكـر، ولكني أرى أن تمكنا فنضـرب أعناقهم...فهوي رسول الله ﷺ ما قـال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت...، وأنزل الله عز وجـل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم.[2]

تفسير الآية:

في هذه الآية الكريمة يمتن الله على أهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى فداء بامتناع نـزول العذاب لما قدره الله وقضاه في اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

قوله: (لَّوْلَا): حرف شرط امتناع لوجود، والممتنع مع لـ لا هو جواب الشرط قطعًا.[3] وهو

---

(١) انظر: الوجوه والنظائر لأبي عبد الله الحسين الدامغاني (ت:٤٧٨)، تحقيق: عربي عبد الحميد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ص:٢٨٠؛ وموسوعة الوجوه والنظائرفي القرآن الكريم، لأحمد البريدي وآخرون، دار التدمرية، ص:٦١٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:٢٦١هـ)، إشراف: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة، (١٧٦٣/٢).

(٣) انظر: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، لابن هشام، (ت٧٦١)، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ص: ٢٩١.

قوله ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.أي امتناع الجواب لوجود الشرط، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قضاء من الله مكتوب ومثبت في اللوح المحفوظ. وجاء في الآية التعبير بالكتاب دون القضاء لبيان أن القضاء مكتوب قبل وقوع الحدث[1].

وقوله (سَبَقَ) أي: وجب وقضي ومضى في الكتاب. والسبق: حقيقته: تجاوز الغير في السير إلى مكان معين، واستعمل هنا مجازاً فكأن الحكم والقضاء سبق في الكتاب قبل حدوث الفعل.

وجاء التعبير بالفعل الماضي (سبق) لتحقيق غرض معين وهو تحقق الوقوع لا محالة.

وقد اختلف المفسرون في هذا الكتاب الذي سبق في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ على أقوال:

القول الأول: الكتاب الذي سبق أن الله سيحل لأمة محمد ﷺ الغنائم، وكانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها قال سليمان الأعمش فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[2]

قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة.[3] وذهب إليه السمرقندي، والواحدي، والقرطبي، وابن جزي، وابن سعدي[4].

القول الثاني: الكتاب الذي سبق أن الله غفر لأهل بدر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر. قال ﷺ لعمر حين استأذنه بقتل حاطب بن أبي بلتعة: «إنه شهد بدراً. وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[5]

---

(١) انظر:موسوعة التفسير البلاغي، (٤٤٩/١٦).

(٢) رواه الترمذي في السنن كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنفال، (ح/٣٠٨٥)، من طريق معاوية بن عمرو عن زائدة، عن الأعمش به نحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش». انظر: الجامع الكبير: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، (٢٧١/٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره،(٢٧٦/١١)؛ وابن ابي حاتم في تفسيره، (١٧٣٣/٥). انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠)،. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، للرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، (ت:٣٢٧)، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي، (ت٣٧٥)، تحقيق: علي محمد معوض، (٢٦/٢)؛ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (٤٤٩/٢)؛ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، للقرطبي، محمد بن أبي بكر ،(ت:٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (٧٨/١٠)؛ التسهيل لعلوم التنزيل، للكلبي، محمد بن جزي ، (٧٤١)، ضبطه: محمد سالم، (٣٤٨/١)؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص: ٣٧٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: الممتحنة، (ح/٤٨٩٠)، (١٤٩/٦) عن علي رضي الله عنه.

قال به ابن جبير، ومجاهد[١]

القــول الثالث: الكتاب الذي سبق أن الله لا يعذب مــن أتى ذنبًا على جهالة حتى يتقدم إليه، روي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد.[٢]

القول الرابع: الكتاب الذي سبق أن الله يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، ذكره الزجاج.[٣]

القول الخامس: الكتاب الذي سبق أن الله لا يعذبهم ورسول الله ﷺ فيهم. ذكره الشوكاني في تفسيره[٤] ويظهر أن القول بالعموم هو الأولى، وهو القول الذي اختاره الطبري، وإن كان القول الأول يتوافــق مــع سياق الآية لكــن لا مانع من القول بالعمــوم لأن حمل الآية علــى العموم هو أولى بتفسيرها

قــال الطبري بعد ذكــر الأقوال:« وأولى الأقــوال في ذلك بالصواب ما قــد بيناه قبل، وذلك أن قولــه: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ خبر عام غير محصور علــى معنى دون غيره...، فلا وجه لأن يخصــ مــن ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه«[٥].

وهذا القول يتوافق مع القاعدة التالية: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٦]

وقوله: ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي: لأصابكم فيما أخذتم من الفداء أو ما تقدم من أهل بدر من ذنوب أو من أتى ذنبًا على جهالة منه...(عَذَابٌ عَظِيم).

والمســ حقيقته: اتصال الجسم بجسم آخر وهو مجاز في إصابة الشيء، وأصل المس يكون باليــد ثــم يسمى كل ما يصــل إلى الشــيء (ماسًا) على سبيــل التشبيه فيقال: فــلان مسه التعب والنصب[٧].

وجــاءت هنا لفظة المس دون (أصابكم) للدلالة علــى رحمة الله بعباده المؤمنين لأن المس

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره،(٢٨٠/١١)؛ وابن أبي حاتم، (١٧٣٥/٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره،(٢٨٢/١١).

(٣) نسبه للزجاج ابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي،ت(٥٩٧هـ)، ولم أجد القول في تفسير الزجاج.

(٤) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت(١٢٥٠هـ)،اعتنى به: عبد الرحمن عميرة، (٤٦٧/٢).

(٥) جامع البيان،(٢٨٠/١١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (٥٢٧/٢).

(٧) انظر: الكليات، للكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، ت(١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ص: ٧٩٩؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور،(٢٩٩/٢).

أقـل تمكنًـا من الإصابـة، ولبيان أن المدفوع وقوعه هـو أدنى درجات الفعل وهـو المس، فلما نفي المس نفي ما هو أعلى منه بـ لاف العكس. وهذا من رحمة الله وامتنانه بعباده.[1]

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾

تكرر سبق الكلمة الإلهية في القرآن في خمسة مواضع وهي كالتالي:

م	الآية	اسم السورة
١	﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾	سورة يونس
٢	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾	سورة طه
٣	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾	سورة الصافات
٤	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾	سورة فصلت
٥	﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾	سورة الشورى

تفسير الآية:

ذكر الله تعالى في آية سورة يونس عند قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ أن الناس جميعًا كانوا على دين واحد وهو الإسلام، فاختلفوا وكفروا فعبدوا الأصنام والأوثان ودب الشرك بين الناس، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ تكررت في أكثر من موضع في القرآن الكريم فجاءت في سورة يونس، وسورة طه، والصافات، وفصلت، والشورى في سياق الوجوب والمضي وتقدم قضاء الله ونفاذ أمره.

وقد اختلف المفسرون في هذه الكلمة التي سبقت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ على أقوال:

(١) انظر: موسوعة التفسير البلاغي، (١٦/٤٥٥).

الأول: تأجيل العذاب إلى يوم القيامة. قاله السدي[1].

الثاني: ألا يعاجل العصاة إنعاماً منه يبتليهم به، قاله عليّ بن عيسى[2].

الثالث: ألا يأخذ أحداً إلا بحجة، وهي إرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء] ذكره ابن الجوزي[3].

ويظهر أنه لا تعارض بين الأقوال، وجميع ما ذكر صحيح، والقول الأول يتضمن القولين الآخرين.

فكلمة الله التي سبقت في قضائه وتقديره بأنه تعالى يؤجل العذاب إلى أجل مسمى فلا يعاجل عذاب العصاة قبل إقامة الحجة وإرسال الرسل، وإنما يؤخر الحكم بينهم إلى يوم القيامة.

قال ابن كثير:« لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه؛ وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما فيه اختلفوا، فأسعد المؤمنين، وأعنَتَ الكافرين«[4]

وقد جاءت هذه الكلمة في سورة يونس وسورة فصلت مجملة أشير إليها في سورة طه والشورى بقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [سورة طه: ١٢٩] وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [سورة الشورى: ١٤] والأجل: هو أجل بقاء الأمم، وذلك عند انقراض العالم، فالقضاء بينهم إذن مؤخر إلى يوم الحساب[5].

وفي قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٧١] استئنافٌ مقرِّرٌ للوعيد وتصديرُه بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أي وبالله لقد سبقَ وعدُنا لهم بالنُّصرةِ والغَلَبةِ وهو قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٧٢]

المراد بالكلمة هنا: ما قد مضى في قضاء الله وحكمه بأن المرسلين منصورون على أعدائهم. قال النحاس: أراد بالكلمة قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].[6]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، (٤٥٣/٢٠).

(٢) أخرجه الماوردي في تفسيره، (٤٢٩/٢). انظر: النكت والعيون، للماوردي، علي بن محمد البغدادي، (ت٤٥٠)، راجعه: السيد عبد المقصود.

(٣) انظر: زاد المسير، (١٧/٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(ت:٧٧٤)، تحقيق: سامي السلامة، (٢٥٧/٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٢٩/١١).

(٦) معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس(ت:٣٣٨)، تحقيق: محمد الصابوني، (جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠)،(٦٩/٦).

أي: سبق منا القول لرسلنا، إنهم لهم المنصورون، أي مضي بهذا من القضاء والحكم.

ويرى الفراء أن التي سبقت لهم السعادة. وهي قراءة عبد الله (ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين) وعلى تصلح في موضع اللام؛ لأن معناها يرجع إلى شيء واحد[1]

ونلحظ أنه جاء التعبير في الآيات السابقة بلفظة (كلمة) بالإفراد وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدّة، لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم مفردة.[2]

وفي هذا الآيات تسلية للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم. وأن المرسلين منصورون على أعدائهم.

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١]

سبب النزول:

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزلت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٨] شق على قريش، وقالوا: أيشتم آلهتنا ؟، فجاء ابن الزبعري، فقال: ما لكم ؟ قالوا: يشتم آلهتنا، قال: فما قال ؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله ؟ قال: «لا، بل لكل من عبد من دون الله»، فقال ابن الزبعري: خصمت ورب هذه البنية، ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيرًا عبد صالح، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيرًا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾»[3]..

تفسير الآية:

حكم الله تعالى وقضى في علمه الأزلي بأن الذين آمنوا لهم الحسنى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾

---

(١) معاني القرآن، لأبي زكريا يحي للفراء (ت:٢٠٧)، تحقيق: محمد النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة)، (٢/٣٩٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري؛ أبو القاسم، محمود بن عمر، ت(٥٣٨)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، ص: ٩٦٠.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (ح/١٢٧٣٩)، (١٢/١٥٣). انظر: المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان الطبراني، (ت:٣٦٠)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي؛ أسباب النزول، للواحدي، علي بن محمد (ت٤٦٨)، تخريج: عصام الحميدان، ص:٣٠٥ قال المحقق: إسناده حسن. ويشهد له: ما أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢/٣٨٥) والفريابي وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم وابن مردويه (فتح القدير: ٣/ ٤٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وإسناده صحيح.

ومعنى الآية: إن الذين سبقت لهم منه في علمه الحسنى[1] وأوضح ابن عاشور أن السبق استعمل هنا مجازاً في ثبوت الأمن في الماضي.[2]

والحسنى هي الحالة الحسنة في الدين، وذكر الموصول (الذي) للإيماء إلى أن سبب فوزهم هو سبق تقدير الهداية لهم، وذكر اسم الإشارة (أولئك) لتميزهم بتلك الحالة الحسنة، وللتنبيه على أنهم أحرياء بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما تقدم على اسم الإشارة من الأوصاف، وهو سبق الحسنى من الله واختير اسم الإشارة البعيد للإيماء إلى رفعة منزلتهم.[3]

واختلف المفسرون في المراد بالحسنى السابقة في الآية على أوجه:

الوجه الأول: أنه وجبت لهم في الأزل الجنة، لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس] وهو قول ابن عباس، وعكرمة[4]، والسدي[5] وقاله السمرقندي، وابن أبي زمنين، والقرطبي.[6]

الوجه الثاني: وجبت لهم في الأزل السعادة. وهو قول ابن زيد.[7] وقال به الطبري، وابن جزي، وابن كثير[8].

الوجه الثالث: قدر لهم في الأزل الطاعة لله تعالى، حكاه ابن عيسى[9].

ويظهر أن جميع ما ذكر صحيح، والأقوال إذا أمكن اجتماعها بدون تعارض، والقول بجميعها، فلا مانع من ذلك. فلفظة الحسنى تعم كل ذلك، فهي عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه.[10] وهي الصفة الحسنة فالله سبق في علمه وتقدم أن من وفق لطاعة الله فلهم السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة.

والحسنى هي الخصلة المفضلة في الحسنى، تأنيث الأحسن، إما السعادة وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة.[11]

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، (ت:١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (٨٦٤/٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٥٥/١٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٥٥/١٧).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (٣٩٣/٥).

(٥) أخرجه الماوردي في تفسيره، (٤٧٣/٢).

(٦) انظر: بحر العلوم، ص: ٣٨٠؛ تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين(٣٩٩)، تحقيق: حسين عكاشة وآخرون، (١٦٢/٣)؛ جامع أحكام القرآن، (٢٩٣/١٤).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره، (٤٢٠/١٦).التسهيل في علوم التنزيل، (٤٥/٢)؛ تفسير القرآن العظيم، (٣٧٨/٥).

(٨) انظر: جامع البيان، (٤٢٠/١٦)؛

(٩) أخرجه الماوردي في تفسيره، (٤٧٣/٢).

(١٠) مفردات غريب القرآن، مادة (حسن) ص: ١١٨.

(١١) انظر:الكشاف، ص: ٦٨٧.

وهذا القول يتوافق مع القاعدة التالية: الأقوال إذا أمكن اجتماعها، والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه[1]. والله تعالى أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ أي: أولئك أصحاب المنزلة الرفيعة والمكانة العالية عن جهنم مبعدون. واختير اسم إشارة البعيد (أُوْلَٰٓئِكَ) للدلالة على علو مكانتهم، ورفعة منزلتهم.

واختلف أهل التفسير في المعنيّ به في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عُني به كل من سبقت له من الله الحسنى لا يدخل النار، وهو مذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] ورجحه أبو حيان، وابن كثير، والألوسي، والمراغي، وابن عاشور، والشنقيطي.[3]

ودليلهم من القرآن: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [سورة يونس] وقوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠].

القول الثاني: عُني بهم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله وهم كارهون وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وأبي صالح[4] واختاره الطبري.[5]

دليلهم: سبب النزول المذكور سابقًا.

القول الثالث: إنهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح رضي الله عنهم. رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب[6]

ويظهر أن القول الأول هو الأظهر، لأنه القول الذي تؤيده آيات قرآنية، كما أن القول بالعموم أولى من تخصيص أحدهما على الآخر. فيعم كل من سبقت له السعادة والجنة في علم الله الأزلي. ويكون القولين الآخرين داخلَين في القول العام. وأما دليل القول الثاني فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن عاشور: «عام يعم كل مؤمن مات على الإيمان والعمل الصالح»[7]

---

(١) الموافقات، للشاطبي، (٥/٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، (١٦/٤١٥).

(٣) انظر: البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، (٦/٣١٦)؛ تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٧٨)؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، شهاب الدين محمود، (ت:١٢٧٠هـ)، (١٧/٩٧)؛ تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (١٧/٧٤)؛ التحرير والتنوير، (١٧/١٥٥)؛ أضواء البيان، (٤/٨٦٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره، (١٦/٤١٦).

(٥) انظر: جامع البيان، (١٦/٤١٩).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره،

(٧) التحرير والتنوير، (١٧/١٥٥).

وهذا القول يتوافق مع القواعد الترجيحية التالية:

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص - والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك - والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1] والله تعالى أعلم.

وعليه فقد تقدم في علم الله، وحكم في كتابه أن كل مؤمن بالله ورسوله ﷺ كتب الله له السعادة والجنة.

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [سورة هود:٤٠]

تفسير الآية:

أمر الله تعالى نبيه نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة تكون سبباً ووسيلة لنجاته هو ومن آمن معه قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [سورة المؤمنون].

ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [سورة هود] وقال في سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: حتى إذا جاء أمر الله بإهلاك الكفار، وفار التنور أي: فار الماء من التنانير ونبع على قوة وشدة تشبيهاً بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة في أن نفس التنور لا يفور فالمراد فار الماء من التنور.[2] والتنور هو تنور الخبز الذي يوقد فيه عند أكثر المفسرين[3].

في ذلك الوقت قال الله لنوح عليه السلام: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: قُلْنَا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحا أن نعذّبهم به، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه: (ٱحْمِلْ فِيهَا): يعني في الفلك (مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ) يقول: من كلّ ذكر وأنثى[4] أي من البشر والأنعام اثنين. ثم قال: ﴿وَأَهْلَكَ﴾: عطف على زوجين. والأهل هم أهل بيته وقرابته[5].

ثم استثنى الله من أهله من كتب عليه العذاب فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: إلا من قدر الله عليه في اللوح المحفوظ بالهلاك والعذاب. فالقول هنا هو العذاب.

والآية جاءت مجملة فلم يبين الله تعالى من سبق عليه القول من أهله، ولكنه بين في موضع

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (٥٢٧/٢)، (٣١٢/١)، (٥٤٥/٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لمحمد الرازي المشتهر بخطيب الري، (ت:٦٠٤هـ)، (دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١)، (٢٣٤/١٧).

(٣) نسبه للأكثر السمعاني وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: التّنّور قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها« انظر: جامع البيان، للطبري، (٤٠٦/١٢)؛ تفسير القرآن، للسمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي، (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: غنيم بن عباس، (٤٢٨/٢)؛

(٤) انظر:جامع البيان، (٤٠٧/١٢).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣٢١/٤).

آخر أن الذي سبق عليه القول من أهله هو ابنه وامرأته. قال في امرأته: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ﴾ [سورة التحريم:١٠] وقال في ابنه الذي سبق عليه القول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة هود: ٤٢].

وفي قضاء الله المسبق أن يكون ابن نبي الله نوح عليه السلام من الأشقياء فيقدر الله عليه العذاب لكفره تسلية للخلق في فساد أبنائهم[١].

المطلب الثاني: الرمي والاصطياد.

من وجوه السبق في القرآن الرمي والاصطياد؛ كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾. [سورة يوسف: ١٧].

تفسير الآية:

قوله: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ الاستباق: افتعال من السبق وهو بمعنى التسابق. والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل: والارتماء والترامي، وغير ذلك. والمعنى: نتسابق في العدو أو في الرمي[٢].

اختلف المفسرون في معنى الاستباق في قوله: ﴿ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ على أربعة أوجه:

الأول: ننتضل. أي: نستبق في الرمي لننظر أينا أسبق سهماً. قاله ابن عباس، وابن قتيبة[٣] والزجاج والطبري[٤]. ويدل عليه قراءة ابن مسعود (إنا ذهبنا ننتضل)[٥]. قراءة عبد الله بن مسعود تحمل على التفسير.

الثاني: نشتد ونعدو. أي: نستبق على الأقدام ليتبين أينا أسرع عدواً وأخف حركة. قاله السدي[٦]

الثالث: نتصيد، أي: نستبق على اقتناص الصيد. قاله مقاتل.[٧]

الرابع: أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب. ذكره

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي، بكر محمد بن عبدالله (ت:٥٤٣هـ)، راجعه: محمد عبد القادر، (١٧/٣).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، ص: ٥٠٧؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٨١/١١).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (١٩١/٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، إسحاق إبراهيم (ت:٦١١)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، (٩٥/٣)؛جامع البيان، (٣٤/١٣).

(٥) فتح القدير، للشوكاني، (١٥/٣).

(٦) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (١٩١/٤).

(٧) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (١٩١/٤).

الماوردي[1].

ويظهـر أن معنـى السباق يشمل ذلك جميعاً، لكن القول الأول هو الأولى؛ لدلالة قراءة ابن مسعود عليها. فقراءته تحمل على التفسير.

وهذا القول يتوافق مع القاعدة التالية: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها، أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[2]. والله تعالى أعلم.

ومجـيء الفعل (نستبق) بصيغة المضار لاستحضار الصـورة، وكأن الموقف مشاهد أمام السامع.

ولعل سائلاً يسأل ما الحكمة في تعبير القرآن بـ(نستبق) بدلا من نسرع؟

والجـواب: الحكمة في تعبير القرآن بلفظة نستبق بدلاً من نسرع لأن المعنى المحوري للفظة السبق هو تقدم الشيء من بين ما حوله في قوة وجد كالسابق في الجري، فيكون بتكلف وغلبة. أما الإسراع فهو ضد البطء، يقال: سَرْعان الناس أوائلهم الذين يتقدمون سراعاً، وتسرع بالأمر: بادر به. والمسارعة إلى الشيء المبادرة إلى الشيء[3].

فيتبيـن مـن ذلك أن الاستباق يكون بين اثنين أو أكثر ويكـون بينهم تكلف يقصد به غلبة الغيـر والتقدم عليـه، بينما المسارعة لا يشتـرط أن تكون بين شخصين، ولا يلـزم أن يكون معها معنى التحدِّي والإعجاز؛ فقد يسارع قومٌ إلى شيء ولا يُهمُّ أحدا مَن وصل إليه أولا.[4]

ثـم قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُـفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَـهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أي: تركنا يوسف عند ثيابنا ليحرسها، فأكله الذئب وقت استباقنا، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ أي: وما أنـت بمصدق مقالتنا حتى وإن كنا من أهل الصـدق لشدة محبتك ليوسف وخوفك عليه. قال ابن كثير:« تلطفٌ عظيم في تقرير ما يحاولونه، يقولون: ونحن نعلم أنك لا تصدقنا – والحالة هذه – لو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك، لأنك خشيت أن يأكله الذئب، فأكله الذئب، فأنت معذور في تكذيبك لنا؛ لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا.«[5]

(١) انظر: النكت والعيون، (١٤/٣).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (٨٩/١).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (سرع)، (١٥٢/٣)؛ لسان العرب، (١٣٩/٥).

(٤) انظر: موسوعة التفسير البلاغي، (٣٣٤/٢٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم، (٣٧٥/٤).

المطلب الثالث: الفوات والغلبة

من وجوه السبق في القرآن الفوات والغلبة، وجاء في عدة مواضع من القرآن وهي:

م	الآية	اسم السورة
١	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾	سورة الأنفال
٢	﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾	سورة العنكبوت
٣	﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾	سورة العنكبوت
٤	﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾	سورة الواقعة
٥	﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾	سورة المعارج

تفسير الآيات:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٩] وقوله سبحانه في آيتي العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ﴾ تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين مما يلقونه من الكفار والمشركين والمستكبرين في الأرض. أي: لا يظن الذين كفروا من العرب وغيرهم من الذين جحدوا بوحدانية الله تعالى ولا يظن الذين يعملون المعاصي (سَبَقُوٓاْ) يعني فاتوا بأعمالهم الخبيثة[١]

والسبق هنا مستعمل مجازاً في النجاة والانفلات ممّن يَطلب، والتفلّت من سلطته. شبه المتخلّص من طالبه بالسابق.[٢]

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: إنهم بهذا السبق لا يفوتون الله إذا طلبهم وأراد تعذيبهم. فهم وإن ظهرت نجاتهم الآن، فما هي إلاّ نجاة في وقت قليل، فهم لا يعجزون الله، أو لا يعجزون المسلمين، أي لا يُصيِّرون من أفلتوا منه عاجزاً عن نوالهم.[٣]

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (٢/٢٣).

(٢) التحرير والتنوير، (١٠/٥٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٠/٥٤).

قرأ السبعة[1]: ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الألف، إلا ابن عامر فإنه قرأ (أنهم) بفتح الألف[2] وقراءة الكسر على الاستئناف وابتداء كلام غير متصل بالأول، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ وتم الكلام ثم قال: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فكما أن قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ منقطع من الجملة التي قبلها، كذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾. أما قراءة الفتح فقد جعله متعلقًا لما قبلها فيكون التقدير: لا تحسبهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يجزون على كفرهم.[3]

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي: لا يحسبن الذين يشركون بالله ويعملون المعاصي أن يفوتونا فلا نقدر على أن نجازيهم على أفعالهم فبئس الذي يحكمونه.[4]

فكما أن الله لا يسبقه ولا يفوته أن يأخذ الكفار والمسيئين أخذ عزيز مقتدر ولا يعجزونه أو يفلتون منه كذلك فإن الله تعالى لا يعجزه ولا يغلبه أحد في أمر الخلق والإماتة قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦١] أي: أنا إذا أردنا أن نخلق خلقًا غيركم لم يسبقنا سابق، ولم يفتنا ذلك...فإنكم إنما علمتم النشأة الأولى في بطون أمهاتكم ومبدؤها مما تمنون، ولن نغلب على أن ننشئكم نشأة ثانية فيما لا تعلمونه[5] وقال سبحانه: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [سورة المعارج: ٤١]. أي: قدرنا لموتكم آجالاً مختلفة وأعماراً متفاوتة فمنكم من يموت صغيراً ومنكم من يموت شاباً، ومنكم من يموت شيخاً؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥]. ثم قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتني ذلك إذا أردته، ولا يمتنع مني، وعبر عن هذا المعنى بقوله ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ لأن المغلوب يسبقه الغالب إلى ما يريده فيفوت عليه، ولهذا عدي بـ(على) دون (إلى) كما في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١﴾، فإنه لما منه معنى: مغلوبين ومقهورين؛ عداه بـ(على) بخلاف: سبقته إلى، فإنه فرق بين (سبقته عليه) و(سبقته إليه)؛ فالأول: غلبته وقهرته عليه، والثاني: وصلت إليه قبله.

والعرب تقول: سبقه على كذا أي غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه. أي وما نحن بمغلوبين على

---

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ص: ٣٠٧

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٠٧.

(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة، للفارسي، الحسن بن عبد الغفار، (ت:٣٧٧)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، ص: ١٥٧.؛ مفاتيح الغيب، للرازي، (١٩١/١٥).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: ماهر أديب، (دار اللباب، دمشق، (ط١، ١٤٤٣)، (٧٢/١٠).

(٥) انظر: التبيان في آيمان القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ت«٧٥١)، تحقيق: عبد الله البطاطي، (دار عالم الفوائد)، (٢٩١-٢٩٤) بتصرف يسير

مـا قدرنـا من آجالكم وحددناه مـن أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجـلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدمناه، وما نحن بمغلوبين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم[1].

والسبـق هنا: مجـاز من الغلبـة والتعجيـز لأن السبق يستلـزم أن السابق غالـب للمسبوق، فالمعنـى: وما نحن بمغلوبين. ويقال: سبقتـه على الشيء: إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه[2]

المطلب الرابع: التقدم والمبادرة

من أوجه السبق في القرآن الكريم المبادرة والتقدم -سواء مكاني أو زماني- ومن ذلك:

الأول: المبادرة أو التقدم المكاني في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة يوسف: ٢٥]

تفسير الآية:

لمـا راودت امـرأة العزيز يوسف عن نفسها، امتنع عليه السـلام لما طلبت منه فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ أي: تقدما بسرعة إلى الباب. يعني يوسف وامـرأة العزيز، وتبادرا إلى الباب يجتهـد كل واحد منهما أن يسبـق صاحبه، فيوسف أراد أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي إمساك الباب لـ لا يخرج[3].

والاستباق: طلب السبق إلى الشيء وهو هنا إشارة إلى تكلفهما السبق، أي أن كل واحد منهما يحاول أن يكون هو السابق إلى الباب.[4]

ويـرى الرازي أن الاستباق هو طلب السبـق إلى الشيء، ومعناه تبادر إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه فإن سبق يوسف فتح الباب وخرج، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج[5]

وقوله ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَـابَ﴾ أي: استبقا إلى الباب، فحذف حرف الجـرّ (إلى) مـن قوله: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ وأوصل الفعل بالمفعول؛ على أن كلاً منهما بذل أقصى جهده في السبق، أو ضمن الفعل استبق معنى الابتدار.[6]

ثم قال: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ أي: شقت قميصه من الخلف، ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، (٢٨٢/٢٣)؛ أضواء البيان، للشنقيطي، (٨٤٢/٧)..

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، ١٠٧٨؛ التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣١٦/٢٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٥٥/١٢).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) مفاتيح الغيب، (١٢٤/١٨).

(٦) انظر: نظم الدرر، للبقاعي، (٦٦/١٠)؛ فتح القدير، للشوكاني، (٢٦/٣)..

ٱلۡبَابَۚ﴾ أي: وجدت زوجها عند الباب. وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد لأنه يملك المرأة[1] ثم قالت مبرئة لنفسها من الأمر: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ما عقوبة من أراد بأهلك الزنا إلا الحبس في السجن أو عذاب موجع.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ اختلف المفسرون في نوع السبق في الآية على وجهين:

أحدهما: لو نشاء لأعمينا أبصار المشركين في الدنيا فتبادروا إلى الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم، قاله الحسن وقتادة[2]. وهذا القول اختاره الطبري، والزمخشري، وابن عطية،[3] وهو قول الأكثرين[4]

قال الطبري: «وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدّد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيّرناهم عميًا لا يبصرون طريقًا، ولا يهتدون له»[5]

الثاني: لو نشاء لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، قاله ابن عباس[6].

نلحظ أن القول الأول تناول معنى السبق الحقيقي وهو السير في الطريق بينما القول الثاني تناول معنى السبق المجازي وهو عدم الهداية لطريق الحق.

ويظهر أن القول الأول هو الصواب؛ لأنه القول الذي ذهب إليه جمهور المفسرين

ويؤيد القول المختار القواعد الترجيحية التالية: تفسير السلف، وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[7]. والله تعالى أعلم.

وقوله: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ الطّمْس في اللغة: هو إزالة الأثر بالمحو[8] والطمس على العين: هو ألا يكون بين جفني العين غرّ، وذلك هو الشقّ الذي بين الجفنين، كما تطمس الريح الأثر[9].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، (٦٠٤/٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، (٤٧٥/١٩).

(٣) انظر: جامع البيان، (٤٧٥/١٩)؛ الوجيز، (٩٠٣/٢)؛ الكشاف، ص:٨٩٨؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤٦١/٤).

(٤) نسبه للأكثرين ابن الجوزي في تفسيره، (٣٢/٧).

(٥) جامع البيان، (٤٧٥/١٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره، (٤٧٤/١٩).

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (٢٧١/١).

(٨) انظر: مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، ص:٣٠٧.

(٩) انظر: جامع البيان، للطبري، (٤٧٥/١٩).

وقوله: ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ الاستباق: افتعال من السبق والافتعال دال على التكلف والاجتهاد في الفعل أي فبادروا. و(ٱلصِّرَٰطَ): الطريق الذي يُمشى فيه، وتعدية فعل الاستباق إليه على حذف (إلى) بطريقة الحذف والإيصال، أو على تضمين (استبقوا) معنى ابتدروا، أي ابتدروا الصراط متسابقين، أي مسرعين.

و(أَنَّى) استفهام بمعنى (كيف) وهو مستعمل في الإنكار، أي: لا يبصرون وقد طمست أعينهم.

ومعنى الآية: أي لو نشاء لأعمينا أبصارهم في الدنيا فاستبقوا الطريق أي: فتبادروا إلى الطريق فكيف يبصرون وقد طمسنا أعينهم؟[1]

الثاني: التقدم الزماني بمعنى الابتداء والأولية في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠].

من وجوه السبق في القرآن التقدم الزماني في الابتداء والأولية وقد حكى الله ذلك في فعل قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠] وكرره في سورة العنكبوت فقال سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨]

تفسير الآية:

يخبر الله تعالى عن نبيه لوط عليه السلام حين أنكر على قومه إتيانهم ما حرم الله قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾. والاستفهام في قوله (أَتَأۡتُونَ) هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح[2] وابتداعهم ذنبًا لم يفعله أحد من العالمين.

والفاحشة في اللغة من الفحش أي: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، وكل شيء جاوز قدره فهو فاحش.[3] وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها فعاقبهم الله عليها هي إتيان الذكور. وهذا الفعل الشنيع الذي جاء به قوم لوط كان ابتداعًا منهم قال تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والسبق حقيقته: وصول الماشي إلى مكان مطلوب له ولغيره قبل وصول غيره، ويستعمل مجازاً في التّقدّم في الزّمان، أي الأوّلية والابتداء، وهو المراد هنا، والمقصود أنّهم سبقوا النّاس بهذه الفاحشة إذ لا يقصد بمثل هذا التّركيب أنّهم ابتدأوا مع غيرهم في وقت واحد[4]. وهذا يدل

---

(١) انظر: تفسير الوجيز للواحدي، (٢/٩٠٣).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٤/٣٣٦).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة(فحش)، (٤/٤٧٨)؛ مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، ص: ٤٧٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٨/٢٣٠).

على أنه لم يتقدمهم أحد في اللواط[1].

ارتكب قوم لوط جريمة شنعاء في حق البشرية، مخالف لمقتضيات الفطرة. بابتداعهم فاحشة لم يسبقهم بها أحد من البشر. فقوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أن الأولية والابتداء كانت من قوم لوط لم يأتِ بها أحد من الناس في زمن من الأزمان. فهم من سنوا هذا الفعل المشين، لم يتقدمهم أحد قبلهم، وكل من جاء بعدهم وفعل فعلهم كتب عليهم مثل وزر من عمل بها. قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء[2].

ومعنى الآية: ما عملها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي من مبتدعاتكم في الفساد، فأنتم فيها أسوة وقدوة، فتبوءون بإثمها وإثم من اتبعكم فيها إلى يوم القيامة[3].

وقدم الجار والمجرور (بِهَا) على الفاعل (مِنْ أَحَد) لتخصيص سبقهم بها، ولإبراز شناعة فعلتهم. ودخول حرف (مِنْ) في قوله (أَحَدٍ) لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق، والأصل: ما سبقكم أحد بها. إلا أن النكرة في سياق النفي إن زيدت قبلها (مِنْ) نقلتها من الظهور في العموم إلى التنصيص الصريح في العموم.[4]

الثالث: التقدم الزماني في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: ٤٠].

من أوجه السبق في القرآن التقدم الزماني أي التقدم على الغير في الزمن كقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: ٤٠].

تفسير الآية:

قدر الله تعالى لكل من الشمس والقمر، والليل والنهار منازل لا تتعداه، ولكل منها سلطان ووقت لا تتجاوزه قال سبحانه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾. أي: لا يتسهل للشمس أن تجتمع مع القمر؛ لأن لكل منهما مدارًا. كذلك ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: ولا الليل يتقدم على النهار فيسبقه قبل انقضاء وقته، ولا يدخل النهار على الليل حتى ينقضي الليل. بل يتعاقبان ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فكل من الليل والنهار وآيتيهما يجري في مداره.

---

(١) معاني القرآن، للنحاس، (٥٠/٣)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة...، (ح/١٠١٧)، (٤٧/٢).عن جرير بن عبد الله.

(٣) تفسير المراغي، للمراغي،(٢٠٤/٨).

(٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشنقيطي، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣)، تحقيق: خالد السبت، (٥٤٢/٣)، موسوعة التفسير البلاغي، ـــ٧٣٨/١٣).

قال الزمخشري: «أنّ الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، وضـرب له حدّاً معلومـاً، ودبر أمرهما على التعاقب، فلا ينبغي للشمس: أي لا يتسهل لها ولا يصحّ ولا يستقيـم لوقوع التدبير على المعاقبـة، ﴿أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله فـي سلطانه فتطمس نـوره، ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهـار وهما النيران»[1] وقال أهل التفسير أن قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فيه وجهان[2].

أحدهمـا: يعنـي أنه لا يتقـدم الليل قبـل استكمال النهار وهـو معنى قول يحيـى بن سلام.
الثاني: أنه لا يأتي ليل بعد ليل متصل حتى يكون بينهما نهار منفصل، وهو معنى قول عكرمة.

ولعل سائلاً يسأل: لماذا عبر بالإدراك أولاً وبالسبق ثانياً؟ أو لم جعلت الشمس غير مدركة، والقمر غير سابق؟

الجـواب: لمناسبة حال الشمس من بطء السير وحال القمـر من سرعته. فالشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطُئ سيرها عن سير القمر، والقمر خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره.[3]

ومن معاني التقدم الزماني قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ [سورة لحجر: ٥] وتكررت الآية في سورة المؤمنون آية ٤٣، وتضمن السبق هنا معنى التقدم الزماني. أي: ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلاً لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها[4]

ومجيء السبق بصيغة اسم الفاعل في آية سورة يس ليدل على أن نفي السبق دائم وثابت. وأن هـذا النظـام الكوني ثابت لا يتغير. بينما جاء في آيتي سـورة الحجر والمؤمنون بصيغة الفعل المضارع لأجل بيان دوام هذه السنة الإلهية واستمرارها وتجددها عبر الأزمنة.

وإيثـارُ صيغةِ المضارع فـي الفعلين؛ لأن المقصودَ بيانُ دوامِهمـا واستمرارِهما فيما بين الأمم الماضية والباقية[5]

(١) الكشاف، ص: ٨٩٥.
(٢) انظر: النكت والعيون/ للماوردي، (١٨/٥).
(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري، ص: ٨٩٥.
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، (١٤/١٤).
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، لأبي السعود محمد العمادي (ت٩٨٢)، تحقيق: عبد القادر عطا، (٢٩٢/٣).

المطلب الخامس: السبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة

مـن وجـوه السبق في القرآن الكريم سبق الملائكة بأرواح المؤمنين إلى الجنة قال تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [سورة النازعات: ٤]

تفسير الآية:

استفتحـت سورة النازعـات بالقسم الإلهي بالملائكـة التي تنزع أرواح بنـي آدم، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره. وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعـده عليـه، ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به، والله إذا أقسم بشيء من خلقه فإنما يدل على عظم المقسم به[١]

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾: هي التي تسبق وتسرع إلى ما أمرت به، لا تبطىء عنه ولا تتأخر[٢].

وقـد اختلـف أهل التفسير في المـراد بالسابقات في قوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَـبۡقٗا﴾ على أقوال:

القـول الأول: هم الملائكة. رُوي عن علي، ومقاتل ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري[٣] وهو قول السمرقندي، وابن أبي زمنين، الشوكاني، السعدي[٤].

القول الثاني: الخيل السابقة إلى الجهاد. وهو قول عطاء[٥]

القول الثالث: النجوم يَسبق بعضها بعضًا في السير. قاله قتادة[٦]

القول الرابع: الموت يسبق الى النفس. قاله مجاهد.[٧]

القول الخامس: الأنفس السابقات إلى طاعة الله[٨].

ولـم يرجح ابـن جرير معنى منها، بل رأى أنها كلها محتملـة، فلم يخصص الله بذلك شيئًا دون شيء، بل عَمّ القَسَم بجميع السابقات.[٩]

ويظهـر أن جميع الأقوال التي قالهـا السلف مما تحتمله الآية، غير أن أولى الأقوال هو القول الأول، لدلالـة السيـاق السابق واللاحق عليه حيـث كل من النازعات والناشطـات والمدبرات هم

---

(١) انظر: تيسير الكريم للسعدي، ص:١٠٧١؛ التفسير المنير، وهبه الزحيلي، (٣٩٥/١٥).

(٢) انظر: التبيان في آيمان القرآن، لابن القيم، ص: ٢١٣

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد (٦٤/٢٤)؛ وأخرجه ابن كثير في تفسيره عن البقية، (٣١٢/٧).

(٤) انظر: بحر العلوم، ص: ٤٤٣؛ تفسير القرآن العزيز، (٨٨/٥)؛ فتح القدير، (٤٩٤/٥)؛تيسير الكريم للسعدي، ص:١٠٧١.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره، (٦٣/٢٤).

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) انظر:التبيان في آيمان القرآن، لابن القيم، ص: ٢١٣

(٩) انظر: جامع البيان، (٦٣/٢٤).

الملائكة، ولقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٧] أي: أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم. ولأنه القول الذي ذهب إليه جمهور المفسرين[١].

ويؤيد القول المختار القواعد الترجيحية التالية: إدخال الكلام في معاني ما قبله، وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له- وتفسير السلف، وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٢] والله تعالى أعلم.

ولعل سائلاً يسأل: ما الذي تسبق به الملائكة؟

الجواب: اختلف أهل التفسير في الذي تسبق به الملائكة على أقوال:

الأول: سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. والإيمان والتصديق قاله مجاهد.[٣]

الثاني: تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد، وأبو روق[٤].

الثالث: سبقت بني آدم إلى الإيمان، قاله الحسن[٥]

الرابع: تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، إذا كانت الشياطين تسترق السمع قاله علي، ومسروق[٦].

ووصف ابن القيم هذا القول بالخطأ الذي لا يخفى فساده؛ إذ يقاضي الاشتراك بين الملائكة والشياطين في إلقائهم الوحي، وأن الملائكة تسبقهم إلى الأنبياء، وهذا ليس بصحيح. فإن الوحي الذي تسبقهم به إلى الأنبياء لا تسترقه الشياطين[٧].

ويظهر أن الأقوال الثلاثة الأولى التي ذكرها السلف مما تحتمله الآية، فلا دليل على تخصيص قول دون قول. والقول بالعموم أولى؛ لأن حمل الآية على العموم هو أولى بتفسيرها. وهذا يتوافق مع القاعدة التالية: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٨]

وقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ جاء بصيغة الاسم ليدل على الدوام والثبات وأن الملائكة مستمرون ثابتون في السبق إلى طاعة الله وتنفيذ أوامره ، وأكد بالمصدر المرادف لمعناه وهو

(١) نسبه الشوكاني للجمهور في تفسيره فتح القدير، (٤٩٤/٥).
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (١٢٥/١)، (٢٧١/١).
(٣) أخرجه القرطبي في تفسيره، (٤٢/٢٢).
(٤) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (١٧/٩).
(٥) المرجع السابق، (١٧/٩).
(٦) أخرجه ابن الجوزي في تفسيره، (١٧/٩).
(٧) انظر: التبيان في آيمان القرآن، ص: (٢٣١)
(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، (٥٢٧/٢).

﴿سَبۡقًا﴾ للتأكيد ولدلالة التنكير على عظم ذلك السبق[1] أي: سبقًا عظيمًا.

المبحث الثاني

آثار (السبق) في ضوء القرآن الكريم

بعد دراسة آيات السبق وما تضمنه من وجوه حسب السياق القرآني نستنبط ونستخرج منها آثارًا عقدية واجتماعية لها الأثر البالغ في تعزيز العقيدة الإسلامية الصحيحة والقيم الاجتماعية والتربوية ومن ذلك:

المطلب الأول: الآثار العقدية.

فيما يتعلق بما كتب ومضي في علمه وحكمته تعالى:

من وجوه السبق الوجوب والمضي وهو ما سبق في علم الله تعالى، وكتب في اللوح المحفوظ، وهذا الوجه يغرس في نفس المسلم العقيدة الصحيحة في كيفية التعامل مع أقدار الله تعالى السابقة والمقدرة في علمه بنفس مؤمنة مطمئنة.

إن باب الإمداد بالملائكة. الإيمان بما سبق في علم الله وقضائه وقدره ركن من أركان الإيمان. وله آثار عظيمة على المسلم في دينه ودنياه منها:

١- الطمأنينة وسكينة القلب قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [سورة الحديد: ٢٢] أي: لا يصيب الناس مصيبة إلا وقد سبق في علم الله وكتب عنده في اللوح المحفوظ. وفي ذلك تهوين المصيبة على المؤمنين، فيسكن قلبه وتطمئن روحه.

٢- الصبر والرضا: فالإيمان بما سبق في علم الله وقدره يجعل صاحبه يصبر عند البلاء، ويحتسب الأجر، وينتظر الفرج. فإذا حبس نفسه عن التسخط، واحتسب الأجر، وانتظر الفرج، فقد امتثل لأمر الله، ونال الجزاء الأوفى.

٣- الاستسلام لقضاء الله المسبق، وحسن التوكل عليه: قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥١] أي: لن يصيبنا إلا ما سبق في اللوح المحفوظ وقضاه علينا، فيستسلم المؤمن لقضاء الله وقدره، ويتوكل عليه فلا يجزع. والتوكل سكونُ السِّرِّ عند حلول الأمر ونهاية التفويض، وفيها يتساوى الحلوُ والمرُّ، والنعمةُ والمحنةُ[2].

٤- تعظيم الله ومعرفة حكمته: إن الإيمان بقدر الله السابق الأزلي يولد في قلب المؤمن

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣٠/٦٤).

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري، عبد الكريم بن هوازن، (ت:٤٦٥هـ)، (١/٤٢٦).

تعظيم الله تعالى، والثقة المطلقة بحكمته تعالى في كل شيء، قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]، أي: لا تحزنوا على شيء فاتكم فهو فائت لا محالة؛ لأن الله كتب ذلك وقدره، ولا تفرحوا بما آتاكم فهو آت لا محالة، فإن جميع الأمور كتبها وحسمها عنده تعالى ليحصل المؤمنون على أمرين: أحدهما: أنْ لا يفرحوا بشيء أتاهم فإنه آت لا محالة، ولا يحزنوا على شيء فاتهم لأنه فائت لا محالة.[١]

٥-الإخلاص والسعي لرضوان الله: عندما يعتقد المؤمن أن الله قد سبق في قضائه السعادة والجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح فإن ذلك سببٌ يدفعه إلى زيادة الإيمان بالسعي إلى كل ما فيه إرضاء لله تعالى.

فيما يتعلق بالفوت والغلبة:

من وجوه السبق الإفلات والغلبة أي أن الله لا يفوته ولا يعجزه شيء، وأن لهذا الأمر أثراً على الإنسان. فهو تسلية للمظلوم فتطمئن نفسه وتسكن روحه ويهدأ فكره وقلبه، وتحذير للظالم فلا يعتقد أن إفلاته من عقوبة الله في الدنيا ستفوته في الآخرة. قال رسول الله ﷺ: « إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢]«[٢]

وذكر النووي أن معنى يملي: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة. وهو مشتق من الملوة وهي المدة والزمان بضم الميم وكسرها وفتحها. ومعنى لم يفلته: لم يطلقه ولم ينفلت منه.قال أهل اللغة: يقال: أفلته أطلقه وانفلت وتخلص منه.[٣]

فيما يتعلق بالتقدم الزماني:

إن المتأمل في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: ٤٠] يستشعر وحدانية الله تعالى، وأن هذا الكون يسير في دقة متناهية من الإتقان والانضباط. فهذا الكون وما فيه من تعاقب الليل والنهار فلا الليل يسبقه النهار ولا الشمس تدرك القمر ما هيَ إلا آيةٌ من آيات الله الباهرة، تذكر النّاسَ بعظمة الله سبحانهُ وقدرته المطلقة على كلّ شيء، ويورثهُ ذلك تعظيمًا لَلخالق، ويبعَثُ في النفس السّكينةَ والطّمأنينة. وأنَ كل ما قدره الله تعالى للإنسان سيراه في وقته الذي قدره له لا يتقدم ولا يتأخر عما كتبه الله له في اللوح المحفوظ.

---

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (٨٧٢/٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب التفسير)، باب: قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، (ح/٤٦٨٦)، (٧٤/٦)ح وأخرجه مسلم في صحيحه، (ح/٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري. (١٣٧/١٦).

(٣) انظر: شرح النووي، (١٣٧/١٦).

المطلب الثاني: الآثار التربوية والاجتماعية

فيما يتعلق بالاستباق

مـن وجـوه السبق: الاستباق بين الأفـراد. وفي ذلك أثر عظيـم إذا كان فيما هو نافع ومفيد من ذلك:

١-إحيـاء روح التنافس والترويـح عـن النفس: يعتبر الاستبـاق نوعاً من أنـواع الترفيه عن النفس، وقـد فعلها النبي ﷺ فسابق عائشة رضي الله عنهـا. فقد جاء عنها: أنها كانت مع النبي ﷺ فـي سفر قالت: «فسابقته فسبقته على رجلـي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة»[١]

٢- التمـرن على المنازلة وإرهـاب العدو: كالاستباق بالرمي، فقد أمر الله بالرمي استعداداً لمواجهـة العـدو وقتاله في سبيل الله، قال تعالـى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠] وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ -وهو على المنبر- يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾، «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[٢]. وفي الحديث فضيلـة الرمي والمناضلـة، والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالـى... والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه[٣].

٣- من أثر الاستباق المباح قضاء وقت الفراغ بما هو نافع: المسلم محاسب يوم القيامة عن وقته بما قضاه، وجسده فيما أبلاه. فعن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يـوم القيامة حتى يسأل عن خمس؛ عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[٤].

لعل سائلاً يسأل ما أثر التسابق في الفساد والمعاصي على المسلم؟

الجواب: أن السبق في الفساد والمعاصي له أثر على المسلم منها:

١- أنها تورث الذل، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر].

٢-تفسد العقل، فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل، أنها تطبع على القلب. فالذنوب

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصيد، باب: السبق على الرجل، (ح/ ٢٥٧٨)، (٢٢٣/٤). وقال شعيب: حديث صحيح. أبو داود (٣٩/٣-٣٠ رقم ٢٥٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، (ح/١٩١٧)، (٩٢٤/٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: للنووي، يحي بن شرف بن مري النووي،(ت٦٧٦)، (٦٤/١٣).

(٤) أخرجه الترمذي، باب في القيامة، (ح/٢٤١٦)، (٢١٥/٤). قال: هذا حديث غريب

والمعاصي إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤].

٣-من آثار السبق في المعاصي تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ فلعن من عمل عمل قوم لوط.

٤-تحدث الفساد في الأرض قال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

٥-تسبب الخسف والزلازل، وزوال النعم وحلول النقم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]

٦-ومن آثارها أنها تزيل البركة في العمر والرزق والعلم والطاعة والعمل قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦][1].

من وجوه السبق تسابق الملائكة في طاعة الله وتنفيذ أوامره

١- نيل رضا الله تعالى فتسابقهم لتنفيذ أوامر الله تعالى سبب في نيل رضوان الله قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٠]، ومن ثمراته سرعة الاستجابة لله والانقياد لأمره، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].

٢-الاقتداء بهم: أن تسابق الملائكة في تنفيذ أوامر الله يجعلهم نموذجًا يقتدى به. وقد حث رسول الله ﷺ أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة: فعن جابرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ المَلائكةُ عند رَبِّها؟» فقُلْنا: يا رسولَ الله، وكيف تَصُفُّ المَلائكةُ عند رَبِّها؟ قال: «يُتِمُّون الصُّفوفَ الأُوَلَ، ويتراصُّون في الصَّفِّ»[2] فكيف لا نقتدي بسرعة استجابتهم في تنفيذ أوامر لله تعالى.

وتسابق الملائكة لا يكون إلا في الخير وتنفيذ أوامر الله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ وقال عز وجل: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٧] أما البشر فيقع منهم التسابق بالخير والتسابق في الفساد والشر.

---

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سئل عن الجواب الشافي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمرو عبد المنعم، ص:١٣٢-١٧٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة...، (ح/٤٣٠)، (١/٢٠٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- أن أصل السبق هو التقدم حقيقة، ويتجوز استعماله في المعاني.

٢- وردت مادة (السبق) بمشتقاته في القرآن الكريم في سبعة وثلاثين موضعًا. متضمنة المعنى الحقيقي تارة والمعنوي تارة أخرى.

٣- إذا عدي (سبق) بحرف (على) كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ فإنه يتضمن معنى: حَكَم، ولكون السابق ضارًّا. وإذا عدي بحرف (اللام) كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ فإنه يتضمن معنى الالتزام النافع، وإذا تعدى بحرف(من) كقوله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ لـ دلالة على عظمة ذلك الكتاب النازل من الله تعالى.

٤- أن الاستباق يكون بين اثنين أو أكثر يكون بينهم تكلف يقصد به غلبة الغير والتقدم عليه، بينما المسارعة لا يشترط أن تكون بين شخصين، ولا يلزم أن يكون معها معنى التحدِّي والإعجاز؛ فقد يسارع قومٌ إلى شيء ولا يُهِمُّ أحدًا مَن وصل إليه أولا.

٥- أن التعبير بصيغة الماضي كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يأتي لتثبيت قلب النبي ﷺ في مواجهة المشركين. وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم. وأن المرسلين منصورون على أعدائهم.

٦- في قضاء الله المسبق أن يكون ابن نبي الله نوح عليه السلام من الأشقياء فيقدر الله عليه العذاب لكفره تسلية للخلق في فساد أبنائهم.

٧- أن تسابق الملائكة لا يكون إلا في الخير أما تسابق البشر فيكون في الخير والشر.

٨- مجيء السبق بصيغة اسم الفاعل في آية سورة يس ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يدل على أن نفي السبق دائم وثابت. وأن هذا النظام الكوني ثابت لا يتغير. بينما جاء في آيتي سورة الحجر والمؤمنون في قوله ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع لأجل بيان دوام هذه السنة الإلهية واستمرارها وتجددها عبر الأزمنة.

التوصيات: فإني أوصي بالتوسع في الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم لبيان ما فيها من معاني جليلة واستنباط الآثار الاعتقادية والاجتماعية والتربوية التي تعالج قضايا المجتمع المسلم وفيها هداية للناس. فإن مثل تلك الدراسات تبرز الهدف الأساسي من نزول القرآن وهو العظة والعبرة، وهداية الناس.

وختامًا: أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يكسوه حلة

القبـول، ويتجـاوز عني مـا كان فيه من نقص، أو خلـل، وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

أحـكام القرآن، لأبي بكـر محمد بن العربي (٥٤٣)، راجعه: محمد عبـد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤.

إرشـاد العقل السليـم إلى مزايا الكتـاب العزيز، لأبـي السعود محمد العمـادي (ت٩٨٢)، تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

أسبـاب النـزول، لأبـي الحسن علـي الواحـدي (ت٤٦٨)، تهريـج: عصام الحميـدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢.

أضـواء البيـان فـي إيضـاح القرآن بالقـرآن: لمحمـد الأمين بـن محمد المختـار الجكني الشنقيطـي، (ت:١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالـم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٢٦.

أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويل، عبـد الله بن عمر البيضـاوي، تحقيق: ماهـر أديب، (دار اللباب، دمشق، (ط١، ١٤٤٣).

أيسـر التفاسير لكلام العلـي الكبير، لأبي بكـر الجزائري، مكتبة العلـوم والحِكَم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، (ت٣٧٥ه)، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

التبيـان فـي آيمان القرآن، لأبـي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيـم الجوزية، (ت«٧٥١)، تحقيق: عبد الله البطاطي، (دار عالم الفوائد)، د.ط، د.ت.

التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر)، بدون طبعة، ١٩٨٤.

التسهيـل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن جـزي الكلبي، (ت:٧٤١ه)، ضبطه: محمد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥.

تفسير القرآن: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني، ت(٤٨٩هـ)، تحقيق: غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (ت:٣٩٩ه)، تحقيق: حسين عكاشة وآخرون، الفاروق

الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت:٧٧٤ه)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، (ت:٣٢٧ه)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لمحمد الرازي المشتهر بخطيب الري، (ت:٦٠٤ه)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١.

تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٦٥

التفسير المنير، وهبه الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة العاشرة، ١٤٣٠.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: (٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، بدون تاريخ طبع، بدون طبعة.

الجامع الكبير: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

الجواب الكافي لمن سئل عن الجواب الشافي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، (ت:٣٧٧ه)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، (١٢٧هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد

الجوزي القرشي البغدادي،ت(٥٩٧هـ) ، (المكتب الإسلامي) .

السبعة في القراءات، لابن مجاهد ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠

سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث، (ت:٢٧٥) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، بدون طبعة، ٢٠٠٩.

صحيح الإمام البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت:٢٥٦هـ) ، بإشراف: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:٢٦١هـ) ، إشراف: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

صحيح مسلم بشرح النووي: لأبي زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، (ت:٦٧٦هـ) ، (المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩.

العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣) ، تحقيق: خالد السبت، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤١.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

العين، للخليل الفراهيدي، ترتيب: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت:١٢٥٠هـ) ،اعتنى به: عبد الرحمن عميرة، (دار الوفا، ٢٠٠٥) الطبعة الثالثة.

قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري؛ أبو القاسم، محمود بن عمر، (ت:٥٣٨ه) ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت:١٠٩٤هـ) ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، (ت:٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠.

لطائـف الإشـارات، لأبي القاسـم عبد الكريم القشيـري (ت ٤٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧

المحـرر الوجيـز فـي تفسير الكتـاب العزيز، لأبـي محمد عبـد الحق بن غالـب بن عطية الأندلسـي، (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السـلام عبد الشافي،دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة(ت:٤٥٨)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي.

معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس(ت:٣٣٨)، تحقيق: محمد الصابوني، (جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠).

معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى الفراء (ت:٢٠٧)، تحقيق: محمد النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة).

معانـي القرآن وإعرابه، لأبـي إسحاق إبراهيـم الزجاج، تحقيق: عبد الجليـل شلبي، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، محمد حسن، ضبطها: عبد الكريم جبل، مركز المربي، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

المعجـم الكبير، لأبي القاسم سليمان الطبرانـي، (ت:٣٦٠ه)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

معجـم مقاييـس اللغـة، لأبي الحسيـن أحمد بن فارس بـن زكريـا(ت٣٩٥ه)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٩.

المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥.

مغنـي اللبيب عن كتاب الأعاريب، لابن هشام، (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،١٤١١.

المفـردات فـي غريـب القـرآن، لأبـي القاسـم الحسين بـن محمـد الراغـب الأصفهاني، (ت:٥٠٢هـ.)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.

موسوعـة التفسير البلاغي، تأليف: نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، (مجمع القرآن الكريم بالشارقة، ٢٠٢٤م).

موسوعـة الوجوه والنظائرفي القرآن الكريم، لأحمد البريدي وآخرون، دار التدمرية، د.ط، د.ت.

النكـت والعيون لأبي الحسن علي الماوردي، (ت٤٥٠ه)، راجعـه: السيد عبد المقصود. دار الكتب العلمية، بيروت.

نظـم الـدرر في تناسـب الآيات والسـور، لأبي الحسـن إبراهيم البقاعـي، (ت١٤٨٠)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى.

الوجـوه والنظائر لألفاظ كتـاب الله العزيز، لأبي عبد الله الحسيـن الدامغاني (ت:٤٧٨)، تحقيق: عربي عبد الحميد، (دار الكتب العلمية، بيروت)، د.ط، د.ت.